كتاب في الأخلاق والعرفان

١٠٤٢٠٤
١٣٨٥ /٧/

لأحد الحفّاظ

مِن أعلام الشيعة الإماميّة

في القرن الخامس أو السادس

www.atharebartar.com

مقدّمة المحقّق

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

جلب إلى مدينة قمّ قبل سنوات عدد من المخطوطات من آذربيجان، و من مدينة مَرند على الأظهر، و عرضت في احدى المكتبات للبيع، وانتقى أمين تلك المكتبة بعضها و دفع ثمنها، و حاز ما فضل منها ـ باعتبارها ليست من نفائس المخطوطات ـ أحد أصدقائي، و هو سماحة حجةالإسلام علي أكبر زماني نژاد، فعرضها عليّ من باب الاحتياط؛ إذ لعلّ من بينها كتاباً نفيساً، فأعيّنه له. وكان فيها كتاب سقطت من بدايته و نهايته أوراق، و كتبت في الصفحة الأولى منه هذه العبارة: «كتاب في الأخلاقيات والمواعظ»، و كان يبدو عليه أنّه كتاب قديم، فاسترعى انتباهي، واستعرته منه.

و استنتجت بعد تصفّحه و مطالعة بعض محتوياته أنّه من المصنّفات النفيسة لعالم من علماء الشيعة، ولعلّه من أعلام القرن الخامس، و اشتغلت بتصحيحه و تنقيحه وإعداده للطبع في فترات متباعدة خلال هذه السنوات، و فرغت منه في صيف هذا العام ـ ١٣٨٣ هـ. ش ـ بعد تصرّم فترة طويلة، ولكن ممّا يؤسف له أنّه لازال الكتاب و مصنّفه و تاريخ تصنيفه مجهولاً، رغم أنّي بذلت قصارى جهدي في الاستقصاء والتأمّل، فاضطررت إلى أن أطبع الكتاب بكونه نسخة من أثر مجهول.

تعريف الكتاب و وصفه

يضمّ مخطوط الكتاب ٢٩٢ صفحة بحجم أصغر من الوزيريّ.

www.atharebartar.com

سقطت من أوّله و آخره و وسطه أوراق لايعلم عددها؛ لأنّها غير مرقّمة.

لم يرد في أيّ موضع منه تاريخ تصنيفه أو استنساخه، غير أنّي أحسبه قد حرّر في القرن الثامن أوالتّاسع، و لم يكتب بخطّ مؤلّفه، وليس فيه ما يدلّ على أنّه قد قوبل أو نقّح.

نسخت بعض كلماته بصورة يتعذّر قراءتها في بعض الموارد، رغم أنّ الناسخ ـ كما يبدو ـ من العلماء، كما يتعذّر في موارد آخرى ـ وهي قليلة ـ إصلاحها قياساً بنظائرها.

كان لمصنّفه إلمام تامّ بآيات القرآن الكريم، وازدانت صفحات الكتاب بحوالي ٤٥٠ آية.

يمكن عدّ المصنّف من مفسّري القرآن الكريم أيضاً؛ لأنّه فسّر الآيات في كثير من الموارد تفسيراً مزجيّاً.

لقب كاتب النسخة المصنّفَ بلقب «الحافظ» إذ ذكر في بداية أبواب الكتاب هـذا اللقب بقوله: «قال الحافظ» ثمانين مرّة تقريباً.

و قد ورد في الرسالة القشيريّة ـ المؤلّف في حوالي القرن الخامس ـ بضعة أعـلام باسم «الحافظ» استناداً إلى فهرس أعلامها، وهم:

١. سمعت محمّد بن الحسين يقول: سمعت محمّد بن عليّ الحافظ يقول: سمعت أبا معاذ القزويني... ص ٣٠. إنّ هذا الحافظ الذي روى القشيريّ عن تـلميذه، هـو مـن أعلام القرنين: الرابع والخامس.

٢. سمعت محمّد بن الحسين يقول: سمعت عليّ بن عمر الحافظ يقول: سـمعت ابن رشيق... ص٣٨. وهذا الحافظ من أعلام القرنين: الرابع والخامس أيضاً.

٣. أخبرني محمّد بن الحسين، قال: سمعت عبدالرحيم بن عليّ الحافظ بـبغداد... ص ٤٢. وهذا كالعلمين السابقين من القرنين: الرابع والخامس أيضاً.

٤. سمعت الشيخ أبا عبدالرحمان السلميّ يقول: سمعت أبا أحمد الحافظ... ص٦٤. و هذا كسابقيه الثلاثة أيضاً

www.atharebartar.com

٥. سمعت محمّد بن الحسين﵀ يقول: سمعت عليّ بن عمر الحافظ يقول: سمعت أباسهل بن زياد... ص٣٨. هذا هو الحافظ الثاني من هذه القائمة.

٦. أخبرنا حمزة بن يوسف السهميّ﵀ قال: حدّثنا عبدالله بن عديّ الحافظ... ص٣٧٤. وهذا كسائر الأعلام من القرنين: الرابع و الخامس أيضاً.

٧. سمعت حمزة بن يوسف السهميّ الجرجانيّ يقول: سمعت أبا أحمد بن عليّ الحافظ... ص٥٢٢. وهذا هو الرابع من هذه القائمة.

إنّ هؤلاء الحفّاظ الخمسه كلّهم من العرفاء و من مشايخ القشيريّ المتوفّى عام ٤٦٥ للهجرة بواسطه واحدة، وهم من أعلام القرنين: الرابع والخامس، الوارد ذكرهم في الرسالة القشيريّة.

أفلا يكون مصنّف هذا الكتاب واحداً منهم؟ أو ليس تشيّعه ينفي هذا الاحتمال؟ لأنّ عرفاء هؤلاء ومشايخهم من العامّة غالباً.

ولعلّه كان من حفّاظ الحديث، فقد نقل فى هذا الكتاب مئات الأحاديث والآثار عن رسول اللهﷺ عن أميرالمؤمنين﵇، ونقل في مواضع أخرى من الكتاب أيضاً أحاديث عن الإمام الحسن، والإمام الباقر، والإمام الصادق، والإمام الرضا﵈ ولم تكن كثيرة، و كأنّ مصادر أحاديث الشيعة ماكانت منتشرة في كلّ مكان حين تأليف هذا الكتاب، أو ما كانت في متناول يد مصنّفه؛ لأنّ هناك قرائن تدلّ على أنّه روى كثيراً عن كتب العامّة، كما ذيّل كلّ عنوان بمطالب عرفانية مع أسماء أصحابها أو بلفظ «قيل» فضلاً عن الآيات والروايات.

وذكر كتاباً باسم «الميزان» في موضعين؛ قال في موضوع «الورع»: قال صاحب الميزان: الورع: ستر بين العبد والشبهات، والتقوى: ستر بين العبد و بين الحرام...

و قال في موضوع «ذكر الأولياء والأعداء»: و ذكر صاحب الميزان أنّ الفقر للأولياء كرامتهم، وطاعة الله حلاوتهم، و حبّ الله لذّتهم، وإلى الله حاجتهم...

ولم أستطع للأسف أن ألمّ بهذا الكتاب و بمصنّفه.

www.atharebartar.com

وقال في موضوع «اللوح والقلم»: ذكر صاحب كتاب الاعتقاد أنّ اللوح والقلم هما ملكان. وجاء في اعتقادات الصدوق ص٤٤: باب الاعتقاد في اللوح والقلم، قال الشيخ أبو جعفر رضي الله عنه: اعتقادنا في اللوح والقلم أنّهما ملكان.

ونقل في موضعين مطلباً عن تفسير في ذيل آية، قال في موضوع «الدين ومعناه»: ومن معاني الدين الجزاء؛ قال الله تعالى: ﴿ملك يوم الدين﴾ قال صاحب التفسير: يوم يدان الناس بأعمالهم.

وقال في موضوع «الملّة»: و قد ذكر الله تعالى إبراهيم بالوفاء، فقال: ﴿إبراهيم الذي وفّى﴾ قال صاحب التفسير: قام لربّه باستكمال الطاعة.

وقال في موضوع «الأخوّة»: قرأت في «المفتخر» تصنيف أبي محمّد الحسن بن حمزة العلويّ رضي الله عنه، روى عن رجاله، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

ورد في رجال النجاشيّ أنّه من القرن الرابع.

وقد ذكر أسماء الأئمّة الاثني عشر، و ذكر مصائب أهل البيت بصورة مجملة، و روى فقرة من الخطبة الفدكيّة لفاطمة الزهراء كشاهد لظلم أبي بكر، و مع ذلك فقد لقّب أبابكر بلقب «الصدّيق» في موضعين، و كأنّه عمل بالتقيّه إلى حدّ ما[1]، ولكن لا يشكّ في تشيّعه رغم ذلك.

وقال في موضع من الكتاب: وجرى بين بعض أهل ناحيتنا و شيخ يقال له: ماجد بن محمد مناظرة في باب التوحيد، فكتب ماجد إلى شيخ الحجازيّين، و هو أبوسهل محمّد بن سليمان الحنفيّ... فورد الجواب...

عرف أبوسهل محمّد بن سليمان الحنفيّ في كتب التراجم أنّه من القرن الخامس، إلّا أنّه كان في نيسابور.

وإن كان هو شيخ الحجازيين، اتّضح أنّ زمان تأليف الكتاب في القرن الخامس تقريباً.

---

١. ولعلّه من إضافة الناسخ.

www.atharebartar.com

وقال في موضع أراد فيه أن يمثّل للنسبة إلى مكان: كقولهم: عراقيّ أو حجازيّ أو شاميّ أو مغربيّ أو يمانيّ و أشباهها.

ويستشفّ من هذه العبارة نفي كونه إيرانيّاً أو ساكناً في ايران.

و ذكر أسماء هؤلاء الأشخاص ونقل عنهم مطالب:

١. أبو محمّد الحسن بن حمزة العلويّ، مؤلّف كتاب «المفتخر».

٢. الشبليّ المتوفّى عام ٣٣٤.

٣. أبو موسى الدنبليّ أو الديبليّ أو الدبيلي الذي ورد اسمه في الرسالة القشيريّة.

٤. الجنيد بن محمّد المتوفّى عام ٢٩٧.

٥. أبو يزيد البسطاميّ المتوفّى عام ٢٦١ أو ٢٣٤.

٦. الصفّار عن سعيد بن عطاء الشيبانيّ، عن أبي العبّاس بن عطاء؛ إذ توفّي الثالث عام ٣٠٩.

٧. حسين بن منصور الحلّاج المتوفّى عام ٣٠٩.

٨. عبيدالله بن حسين الكرخيّ المتوفّى عام ٣٤٠.

٩. ذوالنون ابن إبراهيم المصريّ المتوفّى عام ٢٤٥.

١٠. سريّ السقطيّ تلميذ معروف الكرخيّ المتوفّى عام ٢٥٧.

١١. أبو عبدالله المحاسبيّ أو الجاسبيّ المتوفّى عام ٢٤٣.

١٢. الجبّائيان: الأب والابن عاشا في القرن الرابع.

١٣. محمّد بن حسن الشيبانيّ المتوفّى ١٨٩.

١٤. أبوالعبّاس ثعلب المتوفّى عام ٢٩١.

١٥. صاحب الاعتقاد، وهو الشيخ الصدوق المتوفّى عام ٣٨١.

١٦. القتيبيّ المعاصر للفضل بن شاذان حسب الظاهر من القرن الثالث.

١٧. يحيى بن معاذ الرازيّ المتوفّى عام ٢٥٨ في نيسابور.

١٨. ابن جريح المتوفّى عام ١٥٠.

www.atharebartar.com

١٩. حمزة بن حمزة العلويّ المعاصر ليحيى بن معاذ، من القرن الثالث.

٢٠. طلق بن حبيب المذكور في الرسالة القشيريّة.

و أغلب هؤلاء الأعلام من العرفاء، كما ذكرت أسماء أخرى لبعض الأعلام أيضاً، ليسوا من متأخّري القرن الرابع أو الخامس.

ونقل تسعة أدعية منسوبة إلى أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام و كلّها تضاهي أدعية الصحيفة السجّادية بتلخيص و اختلاف في الكلمات والجملات و في التقديم والتأخير، وهذا الأمر يسترعي الانتباه و يحتاج إلى دراسة وتحقيق[١].

وما نقل عن أميرالمؤمنين عليه السلام يختلف عمّا جاء في نهج البلاغة، وهذا يدلّ على أنّ المؤلّف نقل عن كتاب غير نهج البلاغة.

و ليس للروايات والأخبار سلسلة سند، سوى مورد أو موردين، و كثيراً ما وردت مواضيع في روايات الخاصة والعامّة بلفظ «قيل».

و أشار أحياناً إلى بعض المسائل الكلامية، و بحثها وفق مبادئ الشيعة، كما أشار إلى المسائل الأدبية، واستشهد بشعر لم يرد في الكتب اللغويّة كلسان العرب.

وجاءت مطالب في موضوع «الأفلاك والكواكب» وفي «الطبّ وطبائع الإنسان» وفي «أنواع العلم»، تشهد بوسعة علوم المؤلّف و تعدّد فنونه.

و كتب المؤلّف بقلمه عبارات ذات صبغة أدبية وعرفانية، فقد جاء في موضع من كتابه مثلاً: «ولقد قلت في بعض كلامي: رؤية العاقل تفيد الحكمة، و رؤية الجاهل تبيد الخطرة. صحبة العاقل طرب، و صحبة الجاهل كرب. موت الجاهل حيرة، و موت العاقل حسرة. خاتمة العاقل السعادة، و عاقبة الجاهل الشقاوة».

و أنشأ في موضع آخر: «ولذا قلت في بعض كلامي: علامة العارفين عشرة أشيا...».

ويستفاد من هذه العبارات أنّ له مؤلّفات أخرى أيضاً.

---

١. أيضاً أورد ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة دعواتاً من الصحيفة السجّاديّة ونسبها إلى أميرالمؤمنين علي صلوات الله عليه.

www.atharebartar.com

و يحوي الكتاب ثمانية وسبعين موضوعاً أصليّاً، وعدداً من المواضيع الفرعية.

وقد طلبت من الأستاذ الكبير سماحة الشيخ واعظ زاده الخراسانيّ أن يلاحظ الكتاب ويبدي رأيه فيه، و يكون ذلك مقدّمة الكتاب، فوافق على طلبي، و تفضّل بكتابة مقدّمة تلي هذه السطور. وأرى من الواجب أن أقوم بشكره و أذيع فضله.

شكر و تذكار

هُنا، أرى لزاماً عليَّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل لصديقي الأعزّ حجّة الإسلام والمسلمين محسن الأحمدي حيث آزرني في تحقيق المتن، و حجّة الإسلام الشيخ محمّد باقريان لتحمّله عناء تخريج أكثر المرويّات من المصادر، والشيخ عبدالله الغُفراني للمراجعة وإعمال الإصلاحات النهائيّة في تصحيح الكتاب.

ولا يخفى أنّه كلّما وردت في الهوامش كلمة «راجع» فالمراد أنّ الحديث بعينه لم يوجد في المصادر، بل وجد بعضه أو مثله أو قريب منه في المفاد.

رضا الأُستادي

قمّ المقدّسة /١٣٨٣ش

www.atharebartar.com

مقدّمة الأستاذ واعظزاده الخراسانيّ حفظه الله

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

لقد طالعت هذا الكتاب النفيس تلبية لرغبة آية الله الأستاديّ، و دوّنت خلال ذلك ملاحظات كثيرة، أوجزتها على النحو التالي:

إنّ هذا الكتاب أثر لبعض علماء الشيعة الإمامية في القرن الخامس أو السادس، و قد قضى عمره ملازماً للتصوّف والعرفان، و حليفاً للقرآن والحديث، و مولعاً بكثير من العلوم، نحو: الهيئة والنجوم والرياضيات والطّب. وناهيك من أنّه كان من شيوخ المتصوّفة و علماء الحديث، واشتهر بلقب «الحافظ».

ولكن ممّا يؤسف له أنّ اسمه و مكان نشأته و سابقته الدينية والعلمية مجهولة بدون شكّ و ريب، وإن وفّقنا لإدراك هذه المواصفات بالحدس والظنّ وفق بعض القرائن. وقد حصلنا على الملاحظات التالية من ثنايا الكتاب:

١. نقل عن كتاب «المفتخر» لأبي محمّد الحسن بن حمزة العلويّ (٣٥٨) المعاصر للشيخ الصدوق (٣٨١)[1]، إلّا أنّه كان معاصراً للسيّد المرتضى علم الهدى (٤٣٦) والشيخ الطوسيّ (٤٦٠) على الظاهر.

٢. لم ينقل من كتب الشيعة الإمامية، عدا كتاب «اعتقادات الصدوق» الذي ذكره

---

١. الصفحة ٢٥.

www.atharebartar.com

بلفظ «قال صاحب الاعتقاد»[١]، و اقتبس روايات الأئمّة وخطب الإمام عليّ عليه السلام من مصادر أخرى.

٣. هناك شواهد تدلّ على أنّه استقى بعض هذه الآثار من كتب الإسماعيلية، مثل: «دعائم الإسلام» للقاضي نعمان (٣٦٣) إذ ينبغي مقابلتها مع الروايات الأولى لهذا الكتاب.

وهذه الشواهد هي:

أ. قال في موضع، نحو «دعائم الاسلام» الذي كانت رواياته مرسلة: «رُوِينا»، و هو يقول أيضاً: «خُبّرنا».

ب. كان يثني على الإمام الصادق بقوله: «سلام الله على ذكره»[٢] بدلاً من «عليه السلام» حسب طريقة الإسماعيلية كما هو مرسوم بينهم حاليّاً.

ج. نقل عن كتاب «الميزان»[٣] مراراً و تكراراً، و يحتمل أن يكون «ميزان العقل»[٤] للقاضي نعمان.

٤. إن كان هذاالرأي صائباً، تحتّم القول بأنّه كان إسماعيليّاً ثمّ تشيّع، وقد ذكر أسماء الأئمّة والإمام الحجّة المهديّ عليه السلام، و عقائدالشيعة، غصب الخلافة، و منع الزهراء عليها السلام إرثها، والعترة، عدّة مرّات[٥].

٥. ومع ذلك فهو صوفيّ بحت، بل كان من مشايخ الصوفية. وذكر في «فصل ذكر التصوّف» أقوالاً في تعريف التصوّف، و قال: «والتصوّف عندي يرجع إلى سبعة معانٍ»[٦]. و قال في مواضع أخرى: «من أقسام العلم علم التصوّف، وهو بحر عميق»[٧]، و

---

١. الصفحة ١٤٤.

٢. الصفحة ٢٧٩.

٣. الصفحة ٢٦٨ و ٣٢٧.

٤. انظر مقدّمة «دعائم الاسلام» طبعة مصر.

٥. الصفحات: ٢٤٧ و ٢٦ و ٢٨١ إلى ٢٨٣ و ٣٠٥ و ١٣٩ و ١٥٢ و ١٥٨.

٦. الصفحة ٢٨ و ٣٠.

٧. الصفحة ١٠٦.

www.atharebartar.com

«معنى المعرفة على لسان التصوّف»[١]، و «معنى العرش عند أهل التصوّف والتحقيق القلب»[٢]، و «قال بعض المحقّقين وأهل التصوّف: المراد باللوح المحفوظ القلب»[٣]، و «قال أهل التصوّف: العالم اثنان: الكبير والصغير»[٤].

كما ذكر «العارفين» مرّات عديدة أيضاً؛ قال: «قلت: علامة العارفين عشرة أشياء»[٥]، و كذا الحكمة والحقيقة؛ قال: «والحكمة عندي ـ والله أعلم ـ عبارة عن الوحدانية»[٦]، «ولقد قلت في بعض كلامي: رؤية العاقل حكمة»[٧]، «تريد الجواب بلسان الشرع أم بلسان الحقيقة أم بلسان الحقّ». و استعمل لفظ «المريدين» مرّات أيضاً[٨].

٦. وفي مضمار التصوّف ذكر أسماء شيوخ التصوّف مراراً، منهم: أبو يزيد البسطاميّ، و ذوالنون المصريّ، والشبليّ، و شقيق البلخيّ، و إبراهيم بن الأدهم، والجُنيد، والحسن البصريّ، بقيد «رحمهم الله» و غيرهم[٩].

٧. وذكر الصحابة والإمام والسلطان العادل ـ الذي يعني به الحاكم الإسلاميّ[١٠] ـ مع عليّ و أهل البيت عليهم السلام؛ قال: «ومنها حقّ الصحابة من أهل الهجرة والنصرة، و هو ذِكر محاسنهم، ونشر فضائلهم، وإقالة عثرتهم، وستر عوراتهم، و تعظيم أحوالهم... و حفظ اللسان عمّا يشينهم». و روى أحاديث في الأنصار، وعن أبي بكر، و أنس بن مالك، و ابن مسعود، و ابن عمر، و أبي هريرة، و عن فقهاء العامّة كالشافعيّ، و محمّد بن الحسن

---

١. الصفحة ١٢٢.

٢. الصفحة ١٦٧.

٣. الصفحة ١٦٥.

٤. الصفحة ١٧٤.

٥. الصفحة ١٢٥.

٦. الصفحة ١١٧.

٧. الصفحة ١١٥.

٨. الصفحات: ٢٩ و ٨٠ و ٩٣ و ٢٠١ و ٢٥١ و ٢٩٨.

٩. الصفحات ٧٥ و ٨٠ و ١٢٠ و ١٢١ و ٢٨١ و ٢٩٣ و ٣١٠ ٣٢٣ و ٣٣٥.

١٠. الصفحات: ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٨١.

www.atharebartar.com

الشيباني، و عن آخرين، و قيّد أسماءهم بذكر «رحمهم الله»[١].

٨. يختصّ المؤلّف بمسلك خاصّ، ويربط التشيّع بالتصوّف بنهج خاصّ، يقول: «فينبغي للعبد أن يصل ولايته بولاية وليّ الأمر الذي هو الواسطة بين الرسول والأمّة، والمفزع في الأحكام والشريعة، و ولاية وليّ الأمر بولاية الرسول الذي هو صاحب الشريعة»[٢]، و قال في الشيخ الحسين بن منصور الحلّاج: «كان صوفيّاً بالحقيقة، مقتدياً بالأئمّة»[٣]، رغم أنّه مردود عند الشيعة الإماميّة.

٩. يحتمل أنّه كان من محدّثي بلخ و حفّاظها و متصوّفيها؛ إذ قال: «يحيى بن معاذ الرازيّ، دخل على حمزة بن حمزة العلويّ ببلخ، فقال له: ما تقول فينا أهل البيت؟ قال: ما أقول في طينة عُجِنَت بماء الوحي»[٤]. ولعلّه عنى بلخ بقوله: «وجرى بين بعض أهل ناحيتنا و شيخ يقال له: ماجد بن محمّد مشاجرة، فكتب ماجد إلى شيخ الحجازيّين، و هو أبو سهل محمّد بن سليمان الحنفيّ» المتوفّى عام ٣٦٩، و رغم ورود عدّة محدّثين في كتاب «مشايخ بلخ» للدكتور محمّد المحروس[٥] ما استطعت أن أوفّق بين أحوالهم و حال المؤلّف.

و كان مذهب أهالي بلخ الحنفية حتّى القرن الرابع، وغلب عليهم التصوّف أيضاً. إلّا أنّ ناصر خسرو العلويّ القبادياني (٣٩٤ ـ ٤٨١هـ) قد نشر المذهب الإسماعيليّ في تلك الناحية وفي نفس الفترة، و لعلّ المؤلّف كان منتمياً إلى هذه الفرقة، ثمّ التقى بالشيعة الإمامية وصار شيعيّاً. ولكن ما كان لديه من كتب الشيعة ـ ككتب الإسماعيلية ـ غير كتاب «عقائد الصدوق» لأنّ الصدوق قد سكن هذا الصقع بضع سنوات[٦]، كما جاء

---

١. الصفحات: ٢٦ و ٣٧ و ١٠٧ و ١٢١ و ١٦٣ و ١٧٢ و ٢٧٧ و ١٧٠.

٢. الصفحة ٢٧٠.

٣. الصفحة ٣٣٢.

٤. الصفحة ٢٥٢.

٥. طبعة العراق ٧٢/١.

٦. راجع مقدّمتنا لكتابي «المقنع» و «الهداية».

www.atharebartar.com